صفقة القرن و قبض الرياح
لن أتحدث في هذا المقال عن تفاصيل "صفقة القرن"، لان مدى الجور الواقع على الفلسطينيين و المنطقة بأكملها اصبح واضح، و القاصي و الداني قد (انتفخ قلبه) من سماعها في نشرات الأخبار. ولكن سأتحدث عن الموضوع في سياقة التاريخي، و أبعاده الجيواستراتيجية، و لن أتحدث عنه كصاعقة شقت الأفق و فوجئ الجميع بها.
١- أن الثابت في المنطقة كان و ما زال هو الصراع الجدلي بين قطبين، الإمبريالية الأمريكية من جهة و بين شعوب المنطقة و احرارها من جهة اخرى، لذا لا يمكن فصل ما جرى علينا الأمس من جور، عما يدور من جور اقليمي و عالمي من قبل الإمبريالية الأمريكية على شعوبنا، (و خاصة الحرة منها).

٢- أن أحد السمات الأساسية للنظام الرأسمالي هو المزاحمة و المنافسة الحرة (حسب آدم سميث)، أما الرأسمالية في مرحلتها الإمبريالية فإنها تجنح بشكل منقطع النظير إلى الاحتكار في الانتاج و في الاسواق، و عليه فان المعركة الأمريكية على أراضينا ليس لها علاقة بحقد عرقي و ليس لها علاقة بالحرب على الإسلام و ما شابه من الدعاية "الناتشوية " الضيقة، و انما معركة من أجل احتكار الانتاج و الاسواق و إزاحة المنافسين و على رأسهم الصين، و تحطيم اي محاولة استقلالية لأي بلد في المنطقة يكون من شأنها خلق نموذج ناجح منافس لعملائها الاقليمين و شكل قد تحتذي به شعوب المنطقة (أو على حد تعبير هنري كسنجر، ضرب فيروس الاستقلال).

٣- بناءا على ذلك: فإن الخطر الاستراتيجي العالمي على المصالح الإمبريالية هو المنافسة الإمبريالية الصينية، أما الخطر الاستراتيجي الإقليمي على مصالحها هو " فيروس التحرر للشعوب المنطقة" ممثلا بحركات المقاومة و بعض الدول التي لا تدور في الفلك الإمبريالي الأمريكي و على رأسها ايران. و لمحاربة هذا الخطر و بسبب التعقيدات الكبيرة للمشهد العربي ، كان لابد من خلق عدو جديد للمنطقة و تحييد إسرائيل عن مركز العداء، بل و تحويلها إلى حليف أو(قطر شقيق على حد تعبير الراحل محمد الماغوط) ، و تحويل العداء إلى سني شيعي أو كردي عربي أو أمازيغي عربي، و هذه كانت الوصفة السحرية (لبرنارد لويس) المنظر الرئيس لمشروع الشرق الأوسط الكبير الجديد، من أجل تفتيت

المنطقة و تدمير اي عدو محتمل للمصالح الأمريكية و تحويل إسرائيل إلى الدولة المركزية الأكثر قوة في الإقليم التي تتبع بدورها للبيت الأبيض و ليس العكس. و الناظر إلى المشهد الإقليمي في الفترة الأخيرة يرى إرهاصات هذا المشروع، و هنا تأتي صفقة القرن، اي إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي ليس بطرد الباغي، و لكن بقتل الضحية، و إزالة كافة العقبات امام انشاء تحالف صهيوخليجي + سيسي، في مواجهة ايران و حركات المقاومة.
٤- نستطيع أن نستنتج مما سبق أن صفقة القرن ليست و ليدة الامس، و انما خضعت لمخاض طويل و عسير يمتد على طول مراحل الصراع الإسرائيلي مع شعوب المنطقة، بدأت منذ خديعة حرب ١٩٤٨ و منع الشعب الفلسطيني "بقرار عربي" من إقامة دولته على حدود ١٩٤٨ اي على ٩٠% من مساحة فلسطين التاريخية، ثم بعد ذلك حرب السعودية على مصر و اليمن، و حرب الايام الستة، و كامب ديفيد، و حرب لبنان ، و وادي عربة، ثم أوسلو المشؤوم، و غزو العراق وصولا إلى "الربيع العربي" .

٥- لم تكن في يوم من الأيام للاسف، الفصائل المقاومة و المناوئة للصهيونية الاسرائيلية، عبارة عن نسيج منسجم، و انما دائما كانت في خلاف احيانا علني و أحيانا مبطن، سأطرح بعض الامثلة: كتائب السلام في ثلاثينيات القرن الماضي وصراعها ثوار ثورة ١٩٣٦، خروج قوات العاصفة من حركة فتح و التي تعتبر الجناح الذي يريد حربا أكثر احترافية و أكثر راديكالية مع العدو. حرب المخيمات و محاولة الو عمار تأديب قوات الصاعقة و كل ما جرى فيما بعد من حرب عبثية بين الفلسطينيين من أجل ماذا؟؟ السيطرة على مخيمات اللجوء! طبعا هذا ما كان ظاهرا و لكن الجوهر كان الصراع بين التيار الثوري (الصاعقة و حلفاءها) و بين التيار الذي يريد التفاوض و المساومة مع العدو (ابو مازن و عريقات و الحاشية الجديدة لأبو عمار). انقلاب فتح بإيعاز صهيوني على نتائج انتخابات ٢٠٠٥ الفلسطينية و فوز حماس بها بأغلبية ساحقة، و الانقسام الفلسطيني الحاصل حتى الآن للأسف.

٦- الفقرة السابقة تفسر طبيعة خطاب رئيس السلطة الهلامية الفلسطينية محمود عباس امس تعقيبا على خطة ترامب أو إعلان صفقة القرن. حيث انني قبل الخطاب تفاءلت خيرا عندما صرح أنه لم يبقى بعمره أكثر مما مضى و لن

يخون الشعب الفلسطيني، و اذا بالخطاب اجترار للاسطونة المشروخة الفتحاوية حول التمسك بالمفاوضات و الاحتجاجات السلمية ، و ضمير العالم الذي أصبح يستيقظ!!!!! و العديد من الترهات التي لا ترتقي إلى الثرثرة.
و عند توعده لترامب برد الصفعة صفعتين، أقسم أنه راودني في نفس اللحظة بيت جرير:
زعم الفرزدق ان سيقتل مربعاً
فأبشر بطول سلامة يا مربعُ.
٧- الخيار الأمثل للسلطة الفلسطينية هي الانسجام مع متطلبات و جودها المصيري. اي المقاومة و ليس غير ذلك، و ليس فقط بالطرق السلمية و الدبلوماسية كما ذكر السيد محمود عراب اوسلو، بل بالكفاح المسلح بالعودة إلى أمجاد العمليات المظفرة ضد الصهاينة. ماذا ستخسر السلطة اذا فعلت ذلك؟ المقر الرئاسي في رام الله؟؟؟ لن تخسر سوى القيد و خيمة اللجوء على حد تعبير الحكيم جورج حبش.
و بالفعل ذلك ليس عليها تغيير وضيفة الدولة كما ذكر عباس، و لكن في تغير تحالفاتها الاقليمية و خياراتها الاستراتيجية.
لماذا اصر محمود عباس على المطالبة بدولة في حدود ٦٧؟ و أعادها ثلاث مرات متتالية؟ أية دونية هذه. اطلب الموت توهب لك الحياة يا رجل!

٨- حماس أعربت عن رفضها القاطع لمسرحية البيت الابيض أمس، و لكن مشكلة حماس هي ارتباطها ليس فقط الايدلوجي بل و السياسي بمصادر تمويلها، اي بقطر بصريح العبارة. و لا ينخدعن أحد بالتقارب الحمساوي مع ايران، لان هذا حدث فقط كنكايةً قطرية بالسعودية ، و ليس بسبب تمسمر بعض القيادات الحمساوي الراسخ بمحور المقاومة. طبعا حماس أيضا ليست نسيج متجانس و نتائج الانتخابات الداخلية الأخيرة أبرزت هذا الشيئ ، كاستبعاد خالد مشعل من القيادة و وصول يحيى النوار القريب إلى سوريا تاريخيا إلى قيادة حماس في قطاع غزة المحاصر. و التأثير القطري لا يزال كبير جدا و هذا ما شهدناه في الجولة الأخيرة من الحرب على غزة، حيث نأت حماس بنفسها و تركت حركة الجهاد الإسلامي وحدها للتصدي لإسرائيل باعتبارها حليفة ايران الصرفة في فلسطين. لذا انا ارى ان على حماس تقديم السلاح لمقاومة إسرائيل على السلاح لحماية سلطتها في غزة. و هذا يعني

إعادة رسم خارطة تحالفاتها الإقليمية و الا مصيرها سيصبح كمصير فتح (محمود عباس).

٩- فصائل المقاومة العلمانية كالجبهتان الشعبية و الديمقراطية و الحزب الشيوعي الفلسطيني، عليهم الاستيقاظ من صدمة انهيار الاتحاد السوفيتي، و ساعة الصفر ها هي قد دقت لاستئناف البحث عن مصادر التمويل و استئناف النضال المسلح حتى إسقاط هذه الصفقة و هذا المشروع بالنار و الدم و ليس بالشجب و اجترار أمجاد الماضي. انا أعي جيدا صعوبة المهمة و خاصة مصادر التمويل، و لكني على علم ببعض الوسائل التي طرحت على الجبهة الشعبية للحصول على التمويل الكافي لاستئناف نشاطها، يبقى شجاعة اتخاذ القرار لذلك، و هذا ما أتمناه من كل جوارحي.

١٠- استنتاجات:
صفقة القرن هي واحدة من الإجراءات الأمريكية الرامية إلى حماية المصالح الإمبريالية الأمريكية بالدرجة الأولى و هدفها ضرب "فيروس" التحرر في شرق المتوسط و غرب اسيا، و تحويل إسرائيل إلى حليف شرعي للدول العربية في مواجهة ايران و من خلفها الصين ، على حساب دماء الشعب الفلسطيني. ولكن اني اؤمن ان الإمبريالية هي نظام معادٍ لاستمرار المجتمع، و انه إلى زوال لان البقاء للاصلح للطبيعة و ليس للأقوى، وكذلك مخططاته، و اني اؤمن بالنزعة التحررية الجامحة لشعوب المنطقة و خاصة الشعب الفلسطيني ، شعب الجبارين، و اتمنى منهم دائما قبل اخذ اي قرار، تذكر صبرا و شاتيلا ، و أن ينهوا انقسامهم و صراعهم على السلطة في الضفة و غزة، التي تشبه صراعهم على مخيمات اللجوء في لبنان. اما نحن المتابعون عن بعد للاحداث مهمتنا هي التعبئة الإعلامية و الجماهيرية و ليس وضع العصي في العجلات كما يقال، و نشر الثقافة التشاؤمية، لان التشاؤم هو أخ شقيق للجريمة التي تريد الإمبريالية ارتكابها، و تصوير العدو على أنه خارق القوة و الاستخفاف بالشعوب هو جهل و جبن .
في المقاومة لن تخسر سوى القيد و خيمة اللجوء و سنربح وطنا و عالما بأسرهِ.
نجاح استمرار صفقة القرن، كنجاح الامبريالية في الاستمرا، قبض الرياح.
بقلم عمرو حديفة.